ونحن لا ننكر أن ثقافة مايظهر أثرها فى خطباء العرب وغير الخطباء لعهد النبوة ، ولا ننكر أن هذه الثقافة كانوا يتناقلونها بالرواية الشفوية ، أما أن تكون هذه الثقافة مدونة مكتوبة مجموعة فى مجموعات كثيرة جيدة دون فيها الشعر وكذلك النثر ثم الخطب والأمثال ، فهو مالم يقدم له الدكتور زكى مبارك الدليل والبرهان ، مكتفياً بقوله إن ثقافة الخطباء تشهد بذلك، وكأن ثقافتهم هذه تدل دلالة قاطعة على أنهم كانوا قارئين وأنها كانت ثقافة مقروءة من كتاب . . . وهذا ما لم يقم عليه دليل ، بل إن ابن سلام يقول :

« فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير »[1] .

ومعنى ذلك أن الشعر الجاهلى كان يحفظ بالرواية ، وأن الكتابة لم تنهض لتكون أداة لتدوين هذا الشعر إلا ما قد يكون فى أضيق الحدود ، وحتى قصة كتابة المعلقات وتعليقها فى الكعبة فقد ثبت أنها لا أساس لها من الواقع . وإذا كان هذا هو حال الشعر فكيف يمكن أن يكونوا قد دونوا النثر والخطب وغيرها . وإذا كان التدوين على هذا النحو أمراً ميسوراً مرغوبا فيه إلى جانب الرواية ، فلماذا مضت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام كلها دون أن يجمع القرآن الكريم نفسه فى كتاب ، ليس هذا فحسب بل مر القرن الأول كله دون أن تدون أحاديث الرسول ، وهذه فترة زمنية غير يسيرة . ومهما يكن من أمر الأدب الجاهلي فما نظن أن الجاهليين كانوا أكثر حرصا على حفظه من حرص المسلمين على حفظ القرآن والحديث ، وهما دعامة الإسلام والأصل الذى يقوم عليه . يقول الدكتور شوقي ضيف :

---

(١) طبقات فحول الشعراء ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ ص ٢٢-٢٣ .